د. يسرى أحمد زيدان(*)

دور الهنود فى الحياة الثقافية بالحرمين الشريفين

زمن سلاطين المماليك

مقدمة :

ارتبطت شبه القارة الهندية منذ بداية الفتح الإسلامى لها بعلاقات وثيقة ببلاد الحرمين الشريفين ، وأخذت هذه العلاقات فى نمو دائم، وازدياد مستمر، حتى بلغت الذروة زمن سلاطين المماليك (٦٤٨-٩٢٣هـ / ١٢٤٩-١٥١٧م) [١] وإشرافهم على الحرمين الشريفين[٢].

وقد كان لحكام الهند وعلمائها دوما دور ثقافى فى مكة المكرمة[٣] والمدينة المنورة ، أثروا من خلاله الحياة العلمية والثقافية بهاتين المدينتين المقدستين إثراء ملموسًا ، وصل مداه أثناء تبعيتها لحكم سلاطين المماليك .

ولم يقف التأثير الثقافى للهنود عند حدود الحرمين الشريفين ، وإنما تعدى ذلك إلى باقى المدن والبلاد الإسلامية الأخرى مثل : مصر[٤] والشام[٥]، وغيرهما. لكنه ظهر واضحًا فى الحرمين بسبب مكانتهما الدينية، وارتباط مكة المكرمة بشعيرة الحج وبسنة مجاورة البيت العتيق ، الأمر الذى أدى إلى تدفق علماء الهند إليها بأعداد كبيرة ؛ مساهمين فى الحياة الثقافية والتعليمية ، فكان منهم القضاة ، والأئمة ، ومعلمو الحديث النبوى الشريف، والفقه، والقراءات واللغة والبلاغة بجمع فروعها، وغير ذلك. وكان منهم أيضا المؤدبون والنساخ ، وغيرهم.

---

* الأستاذ المساعد بقسم التاريخ الإسلامى بكلية دار العلوم- جامعة القاهرة.

ولم تقتصر مشاركة الهنود فى الحياة الثقافية بالحرمين الشريفين زمن سلاطين المماليك على العلماء فحسب. وإنما ساهم فيها حكام الهند أنفسهم من خلال إنشاء المدارس والوقف عليها، وبناء الأربطة . وهكذا فإن للهنود دوراً مهمًا فى الحياة الثقافية بمكة والمدينة زمن المماليك، ذلك الدور الذى توزعت أخباره وتفرقت مادته بين بطون الكتب التاريخية، وبخاصة كتب التراجم منها، وجاء هذا البحث ليظهر هذا الدور ، وليجمع شتات ما تفرق فى المصادر التاريخية متصلاً بهذا الموضوع.

أولاً : إسهامات ملوك الهند فى الحياة الثقافية بالحرمين الشريفين:

شارك ملوك الهند مشاركة فاعلة فى الحياة الثقافية بالحرمين الشريفين، وكانوا هم أنفسهم من المتلقين للعلم، القارئين له، النابغين فيه، ومن ثم أدركوا أهمية تنشيط الحياة العلمية وتوفير احتياجاتها ومقوماتها الأساسية. ومن أبرز المشتغلين بالعلم من الملوك: أعظم شاه غياث الدين بن اسكندر شاه بن شمس الدين ملك الهند ببنجالة ، (ت ٨١٤هـ / ١٤١١م) وكان له حظ فى العلم والفهم والخير [٦] . ومحمد بن فندر ملك بنجالة[٧] وتوفى سنة ٨٣٧هـ / ١٤٣٣م . كما كان ملوك كلبرجه[٨] من بلاد الهند يقرأون العلم على أساطينه الهنود ومنهم: علاء الدين محمد البخارى الهندى الذى أقرأ بعض ملوك الهند العلم [٩]، وراجح ابن داود الهندى وقرأ عليه العلم صاحب كلبرجه [١٠]. كما أن صاحب كنبايه بالهند كان يستمع إلى الحديث النبوى من أحد المحدثين لسنين عديدة[١١].

وهكذا كان لعلماء الهند صلة وثيقة بالعلم وأهله، ومن ثم فلا غرابة فى أن تتجه أنظارهم صوب مركز من مراكز الثقافة فى العالم الإسلامى زمن المماليك مساهمين فى تنشيط الحياة الثقافية به من خلال عدة أمور منها :

إنشاء المدارس بالحرمين الشريفين:

عرفت بلاد الحرمين الشريفين عددًا كبيرًا من المدارس زمن سلاطين المماليك نذكر منها : المنصورية والمجاهدية والأفضلية[١٢] والرسولية [١٣]، وغيرها [١٤].

أ- المدرسة البنجالية الغياثية بمكة المكرمة :

يعود انشاء هذه المدرسة البنجالية الغياثية بمكة المكرمة إلى صاحب بنجالة الملك أعظم شاه بن اسكندر شاه بن شمس الدين، غياث الدين أبو المظفر سنة ٨١٣هـ / ١٤١٠م حيث أرسل فى هذه السنة هدية طائلة لصاحب مكة مع رسوله ياقوت الغياثى ومعه رسالة تتضمن

نية ملك الهند فى بناء مدرسة بمكة المكرمة ، وشراء وقف لها . وقد اشترى ياقوت الغياثى دارين متلاصقتين مجاورتين للمسجد الحرام لبناء المدرسة فى مكانهما، كما اشترى ياقوت الغياثى من أمير مكة السيد حسن بن عجلان[١٥] حديقتين لتكونا وقفًا على المدرسة ، «وما رضى فى ذلك إلا باثنى عشر ألف مثقال» [١٦]. وقد انتهى من العمل فى بناء هذه المدرسة فى جمادى الأولى سنة أربع عشرة وثمانمائة من الهجرة [١٧].

وقد تم تدريس الفقه علي المذاهب الأربعة فى هذه المدرسة، وكان مدرسوها عند الفراغ منها هم القضاة الأربعة بمكة المكرمة : القاضى الشافعى جمال الدين محمد بن عبدالله بن ظهيرة، والقاضى الحنفى شهاب الدين أحمد بن الضياء الهندى[١٨]، والقاضى المالكى تقى الدين محمد بن أحمد الحسنى الفاسى، والقاضى الحنبلى سراج الدين عبد اللطيف بن أبى الفتح الفاسى[١٩].

أما عن أوقافها فقد قسمت خمسة أقسام: قسم للمدرسين الأربعة بالسوية بينهم، وثلاثة أقسام للطلبة، وهم ستون نفرًا : عشرون من الشافعية ، وعشرون من الحنفية، وعشرة من المالكية، وعشرة من الحنابلة بالسوية بينهم، والقسم الخامس يقسم أثلاثا: قسمان لسكان المدرسة وهم عشرة رجال، وقسم لمصالحها من العمارة والزيت والمياه وغير ذلك. وأوقف أيضا على مصالح المدرسة دار مقابلة اشتريت بخمسمائة مثقال[٢٠].

وقد أعيد بناء المدرسة البنجالية عام ٨٩٤هـ / ١٤٨٨م . وكان بناؤها مرتفعا لكنه لم يعل على بيت الله المعظم. وللسخاوى ثناء على هذه المدرسة ضمنه كتابه «وجيز الكلام»[٢١].

ومن أبرز من درس بهذه المدرسة البنجالية الغياثية بمكة المكرمة إضافة إلى ما سبق [٢٢]: عبد الوهاب تاج الدين بن ظهيرة[٢٣] (ت٨٨٥هـ/ ١٤٨٠م) وعبد القادر بن محمد الفاسى المكى الحنبلى[٢٤] (ت ٨٢٧هـ / ١٤٢٣م) ، ومحمد الجلال أبو السعادات بن ظهيرة [٢٥].

أما أبرز طلبة المدرسة البنجالية : محمد بن عبد الكريم بن محمد بن عطية الملقب بالجمال، وهو من الطلبة الشافعية بالمدرسة [٢٦]. وعلى بن أحمد المارديني [٢٧]. وهذان الطالبان كانا من سكان هذه المدرسة.

ب- المدرسة البنجالية الغياثية بالمدينة المنورة :

بنى هذه المدرسة بالمدينة المنورة باني المدرسة البنجالية بمكة المكرمة غياث الدين أبو المظفر صاحب بنجالة بالهند فى عام ٨١٢هـ / ١٤١٠م نفسه . وكان هذا السلطان قد ندب

حاجى إقبال مولى خان جهان[٢٨] وزير صاحب الهند الغياث بصدقة لأهل المدينة النبوية وهدية لأميرها جماز بن منصور، وأمر حاجى إقبال بعمارة مدرسة للسلطان الهندى بالمدينة المنورة، وشراء وقف لها بها [٢٩]. وكانت هذه المدرسة بمكان يقال له: الحصن العتيق عند باب السلام[٣٠]. وكان هذا الحصن العتيق منزلاً لأمراء المدينة ثم انتقل إلى السلطان غياث الدين شراء ؛ حيث أقيم فيه المدرسة البنجالية[٣١].

ج- المدرسة الكلبرقية بمكة المكرمة:

أنشئت هذه المدرسة سنة ٨٣٠ هـ / ١٤٢٦م مكان دار لأمير مكة الشريف بركات بن حسن الحسنى عند باب الصفا أحد أبواب المسجد الحرام[٣٢] بأمر من سلطان كلبرجه شهاب الدين أبى المغازى أحمد شاه[٣٣].

وقد استمر العمل فى هذه المدرسة حتى سنة ٨٣١هـ / ١٤٢٧م بدليل قول ابن فهد فى هذه السنة : «وفيها شرع الهنود فى عمارة المدرسة الكلبرقية، واستمرار فى عمارتها طوال السنة»[٣٤]، وأوقف على هذه المدرسة الكلبرقية بيت بقعيقعان[٣٥]، وأثبت وقفية المدرسة الكلبرقية والنظر عليها للشيخ علاء الدين البخارى الهندى بشهادة الهنود على صاحب كلبرقة، وولى الشيخ علاء الدين تدريس المدرسة الكلبرقية وصحبته الشيخ جلال الدين عبد الواحد المرشدى ، وأن يقرر الشيخ عبد الواحد فيها أربعين طالبًا من أى مذهب كان ، وتدريس أى فن أراد ، من تفسير وفقه ونحو وغير ذلك بالمدرسة المذكورة ، وطلب الشيخ علاء الدين القضاة والفقهاء والطلبة لحضور إجلاس الشيخ عبد الواحد بالمدرسة المذكورة ، فحضروا . وخلع على الشيخ عبد الواحد خلعة . وبعد الفراغ من الدرس فرق على الحاضرين بعض الآزر[٣٦].

ومن العلماء الذين قاموا بالتدريس فى هذه المدرسة : عبد الواحد بن إبراهيم بن أحمد المكى الحنفى (ت ٨٣٨هـ / ١٤٣٤م) [٣٧]. كما أن أحد المقادسة وهو ناصر الدين المقدسى نزل مكة وأدب الأطفال بها مدة ، وناب فى المدرسة الكبرقية فى إقراء عشرة من القراء كل يوم[٣٨]. وتوفى سنة ٨٤٠هـ / ١٤٣٦م. كما أن بعض الهنود الكلبرجيه نزلوا مكة وسمعوا بها العلم[٣٩].

وقد قام ملك كلبرجه بالاهتمام بطلبة هذه المدرسة وأرسل إليهم المال والهدايا ، ومن ذلك ارساله بالهدايا إلى الفقيه علاء الدين البخارى ليفرقها على الطلبة الملازمين له وغيرهم[٤٠]. وهناك أخبار أخرى عن هداياه وعطاياه للعلماء[٤١]، ولذلك لانستبعد أن يكون ملك كلبرجة قد اهتم أيضا بطلبة وأساتذة مدرسته بمكة المكرمة من حيث العطاء والإهداء.

د- المدرسة البنجالية بمكة المكرمة:

ذكرت بعض مصادرنا[٤٢] التاريخية أن هناك مدرسة كبيرة بمكة المكرمة بناها ملك بنجالة من الهند وهو محمد بن قندو الجلال أبو المظفر (ت ٨٣٧هـ / ١٤٣٣م) ولم ترد معلومات أخرى سوى هذا الخبر الذى يشير إلى هذه المدرسة.

هـ- المدرسة الكلبرجية[٤٣] بالمدينة المنورة:

أنشأ هذه المدرسة بالمدينة المنورة سلطان كلبرجه بالهند شهاب الدين أبو المغازى أحمد شاه فى السنة التى توفى فيها ، أى سنة ٨٣٨هـ / ١٤٣٤م، وبنيت فى موضع دار كانت لجعفر بن يحيى البرمكى.

و- المدرسة الخلجية[٤٤] بمكة المكرمة :

بنى هذه المدرسة صاحب مندوه من الهند محمود بن مغيث الخلجى بمكة المكرمة عند باب أم هانئ ، وقرر فى مشيخة التدريس والحديث بها إمام الحنفية الشمس البخارى. ولدينا خبر عن أحد الذين تولوا مشيخة المدرسة الخليجية للخلجى محمود صاحب مندوه [٤٥]. ويبدو أن هناك أموالاً كانت مخصصة لهذه المدرسة للإنفاق على مصالحها ، ويفهم هذا مما ذكره السخاوى من أن رجلاً يدعي مفتاح الحبشى الكمالى بن ظهيرة توفى تحت العقوبة الزائدة سنة ٨٨٧هـ- ١٤٨٢م بسبب ما أشيع من اختلاسه للأموال الخلجية التى كان أميناً عليها.

ز- المدرسة الكنبايتية فى مكة المكرمة :

ورد خبر واحد عن هذه المدرسة ذكره ابن فهد[٤٧] هو : «فيها- سنة ٨٦٧هـ / ١٤٦٢م- كملت عمارة المدرسة الكنبايتية» وجاء هذا الخبر فى أثناء حديثه عن مكة المكرمة وتاريخها.

وكنبايه بلد هندى له ملك مسلم، قرأ عليه الحديث النبوى أحمد بن محمد المعروف بابن المرجانى ، عندما توجه إليها من مكة سنة ٨٣٨هـ / ١٤٣٤م فأقام بكنبايه وقرأ الحديث عند ملكها ، وأثابه عليه[٤٨] إلى أن توفى هذا العالم المحدث هناك سنة ٨٦٧هـ/ ١٤٦٢م كما ورد خبر عن سفر على بن محمد ابن الكريم من مكة سنة ٨٥٢هـ / ١٤٤٨م إلى كنبايه[٤٩]. كما عُمل سنة ٧٨٦هـ / ١٣٨٤م باب بكنبايه من بلاد الهند وأهدى إلى أمير مكة أحمد بن عجلان[٥٠]. وقد قدم صاحب كنبايه هدية لأمير مكة حسن بن عجلان سنة ٨٠٩هـ / ١٤٠٦م، وأرسل فى الوقت نفسه خياما لتنصب حتى يستظل بها المصلون يوم الجمعة الذين لم يكونوا يستظلون بشيئ عند سماع الخطبة بالمسجد الحرام [٥١].

ومما سبق يتبين وجود صلة بين مكة المكرمة وبين مدينة كنبايه الهندية، مما يؤكد أن المدرسة التى عرفت بالكنبايتيه تعود إلى ملك كنبايه المسلم الذى بناها سنة ٨٦٧هـ / ١٤٦٢ بمكة المكرمة .

وهكذا بنى ملوك الهند عدداً من المدارس بمكة المكرمة والمدينة المنورة ، وإن كانت مدارس مكة المكرمة قد فاقت مدارس المدينة المنورة. وما من شك فى أن هذه المدارس قد قامت بدور مهم فى إثراء الحياة العلمية والثقافية بمكة المكرمة والمدينة المنورة ، ويعود الفضل فى ذلك إلى الهنود الذين أسسوا هذه المدارس.

ثانيًا – إسهامات الهنود فى إنشاء الأربطة :

عرفت بلاد الحرمين الشريفين عدداً كبيراً من الأربطة خلال تبعيتها لحكم المماليك ، وشهدت هذه الأربطة حركة علمية واسعة، كما ضمت خزائن للكتب أوقفها العلماء على هذه الأربطة. ومن أبرز هذه الأربطة : رباط رامشت (٥٢)، ورباط ربيع (٥٣)، ورباط المسدرة(٥٤) ورباط غزى(٥٥) ، ورباط الموفق (٥٦)، ورباط الخوزى (٥٧). وغيرها (٥٨) من أربطة بمكة المكرمة. وقد أدت هذه الأربطة دورها فى إقراء الطلبة العلم(٥٩). ومن أبرز أربطة المدينة. رباط دكالة(٦٠) وغيره(٦١).

وقد عرف أحد الأربطة بمكة باسم رباط الهنود(٦٢). كما كان بها رباط نسب إلى سعيد الهندى (٦٣). وهو أحد الفقهاء الهنود الذين درسوا الفقه على المذهب المالكى، وكان له تلاميذ(٦٤). كما أن صاحب كلبرجه أحمد بن شاه، شهاب الدين أبو المغازى قد أنشأ بمكة «رباطًا هائلاً»(٦٥).

على أن هناك خبرا لابد من إيراده هنا لاتصاله بالهنود بمكة، وهو أن محمد بن إسحاق الشيرازى المعروف بغياث الدين الأبرقوهى قد أنشأ رباطًا بمكة قبالة باب الصفا سنة إحدى وسبعين وسبعمائة للهجرة لسيده السلطان شاه شجاع صاحب بلاد فارس ، وأوقف عليه الأوقاف «وفى هذا الرباط حجر مكتوب فيه : أن الواقف شرط أن يسكنه الفقراء الأعاجم المجردون المتقون دون الهنود و من لا سكن له بمكة »(٦٦). ولم أجد فى المصادر التى اطلعت عليها ما يفسر عدم سكنى الهنود لهذا الرباط ، فلعل ذلك يرجع إلى كثرة الأربطة المخصصة للهنود بمكة والتى انشئوا هم أنفسهم بعضا منها. أما بالمدينة المنورة فقد أقام بها الخادم

الهندى ريحان أحد خدمة المسجد النبوى رباطين حسنين عم النفع بهما. وكان ريحان الهندى مشهوراً بكثرة المعروف والمآثر الحسنة بالمدينة المنورة(٦٧).

ثالثًا : إسهامات الهنود فى العلوم الدينية:

شهدت الهند خلال فترة البحث نشاطًا علميًا واسعًا ، دلّ عليه نبوغ عدد كبير من العلماء الهنود فى كافة المجالات: الدينية واللغوية والأدبية والتجريبية وغيرها. فعلى سبيل المثال برع محمود بن محمد المقرئ فى النحو والصرف والأصلين والمنطق والعروض، واعتمد عليه فى تدريس هذه العلوم فى الهند(٦٨). كما اشتهر مخدوم بن برهان الدين الهندى الأحمد آبادى بالعلم فى المعانى والبيان ، وأقرأ الطلبة فى بيته الذى جعله مدرسة (٦٩). كذلك عُرف محمد بن التاج الحنفى بالتقدم فى علم الهيئة والكلام (٧٠). ولعل قول السخاوى عن أحد علماء الهند راجح بن داود : «اشتغل فى بلاده بتفسه على أكابر علمائه فى فنونهم»(٧١). مما يؤيد ما ذهبت إليه(٧٢) من وجود نشاط علمى واسع بالهند خلال فترة البحث.

وقد تبوأ العلماء الهنود مكانة علمية مرموقة فى المشرق الإسلامى واشتهروا بتدريس العلوم الدينية وغيرها. فعلى سبيل المثال كان بمصر منهم خلال فترة البحث : محمود الهندى(٧٣)، والبرهان الهندى(٧٤) والسراج الهندى(٧٥) والجلال الهندى(٧٦) وغيرهم(٧٧) وكان منهم بالشام : عطاء الله الدروالى الهندى(٧٨) والبدر الهندى(٧٩) وعبد الرحمن بن على الهندى(٨٠) والسراج الهندى(٨١) وغيرهم(٨٢).

أما فى مكة المكرمة فقد أدى هؤلاء العلماء الهنود دوراً مهما فى تدريس العلوم الدينية للمكيين وغيرهم، وبرزت أسرة هندية فى هذا المجال هى أسرة بنى الضياء، وكان نبوغها فى مجال الفقه وأصوله بصفة خاصة. وتعود هذه الأسرة الهندية إلى محمد بن محمد بن سعيد ابن عمر بن على الهندى الحنفى الملقب بضياء الدين (ت ٧٨٠هـ / ١٣٧٧م) وكان قد نزل المدينة المنورة أولاً ، وأقام بها مدة يدرس، ثم سكن مكة المكرمة وتولى تدريس الفقه على المذهب الحنفى «وكان عارفًا بمذهبه وأصوله ، مع مشاركة فى العربية وغيرها»(٨٣). ومن أبرز تلاميذه محمد بن محمد، ضياء الدين الهندى فى مكة إمام الحنفية بها : عمر بن محمد أبى بكر المكى الملقب بالسّراج ، المتولى لإمامة الحنفية بمكة من سنة ٧٧٣هـ / ١٣٧١م إلى ٧٧٩هـ/ ١٣٧٧م وقد أخذ الفقه(٨٤) عن الشيخ ضياء الدين الهندي. ومحمد بن على بن محمد بن داود المكى المعروف بالزمزمى(٨٥) (ت ٨٣٧هـ / ١٤٣٣م) .

وللشيخ ضياء الدين الهندى ابن هو الشهاب بن الضياء، أحمد بن محمد ابن سعيد الهندى الحنفى الذى تولى قضاء مكة على المذهب الحنفى[٨٦] سنة ٨٠٧هـ / ١٤٠٤م وعرف بابن الضياء الهندى (ت ٨٢٥هـ / ١٤٢١م). وقد اعتنى ابن الضياء الهندى بالعلم كثيراً، وكانت له فى الفقه نباهة، ودرس، وأفتى، وكان يدرس الفقه بالمسجد الحرام وبالمدرسة البنجالية والزنجبيلية[٨٧] والأرغونية [٨٨]، وناب عن عقود الأنكحة عن العز النويرى، ثم فى الأحكام عنه أيضاً سنة ٨٠٣هـ / ١٤٠٠م إلى أن استقل بقضاء مكة ، وكان أول حنفى استقل بها [٨٩]. ومن بين الذين تلقوا العلم عن ابن الضياء من المكيين: القاضى الشافعى أحمد بن محمد بن الجلال أبو السعادات، وكان يتولى أموال الأيتام والغائبين بمكة، ثم أضيف إليه النظر فى الحرم، إلى غير ذلك من وظائف [٩٠].

ومن أسرة ابن الضياء أيضاً: محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن الشهاب، المعروف كأبيه بابن الضياء (ت ٨٥٤هـ / ١٤٥٠م) وكان متقدماً فى العلوم الدينية واللغوية، وضرب فيها بنصيب وافر وناب فى القضاء بمكة، ثم استقل به بعده، وأضيفت إليه نظر الحرم والحسبة[٩١] وصنف عدة مؤلفات فى الفقه والتفسير ، وفى فضائل المسجد الحرام، وفى شعيرة الحج وغير ذلك [٩٢]. «وكان إماماً علامة متقدماً فى الفقه والأصلين والعربية، مشاركا فى فنون حسن الكتابة والتقييد، عظيم الرغبة فى المطالعة والانتقاء بحيث بلغنى- السخاوى- عن أبى الخير بن عبد القوى أنه قال : أعرف أزيد من خمسين سنة، وما دخلت إليه قط إلا ووجدته يطلع أو يكتب » [٩٣]. وقد حدث ودرس وأفتى وصنف ، وأخذ عنه بعض الأئمة[٩٤].

ومنهم محمد الرضى أبو حامد بن الضياء الحنفى (ت ٨٥٨هـ / ١٤٥٤م) شقيق السابق، تفقه بأبيه، وأخذ النحو عنه ، وعن غيره ، ودرس الأصول والمعانى والبيان ، وناب فى القضاء عن أبيه ثم عن أخيه ثم بعد موته استقل به، وكتب فى الفقه، ودرس أفتى ، وممن أخذ عنه المحيوى المالكى أيضاً [٩٥].

وهناك غيرهم [٩٦]ممن ساهموا فى تدريس العلوم الدينية وغيرها بمكة الكرمة ، وأخذ المكيون وغيرهم[٩٧] هذه العلوم عن هؤلاء الهنود من هذه الأسرة العلمية.

ومن العلماء الهنود الذين نبغوا فى أصول الفقه بمكة:

العز أبو بكر بن عطا الله الهندى وأخذ عنه الفقيه المكى محمد بن إبراهيم الحنفى[٩٨] . كما أخذ عالم الحجاز ورئيسه إبراهيم بن علي الملقب بابن ظهيرة أصول الفقه عن أحد العلماء

الهنود [٩٩]. وممن كان لهم دور بها أيضًا حسين بن أحمد بن ناصر الحنفي، وكان يدرس بالمسجد الحرام، مقابل مدرسة عز الدين عثمان الزنجبيلي، ودرس بالمدرسة المذكورة ، وتولى وقفها، وناب فى الحكم عن قاضى مكة جمال الدين بن ظهيرة وعنه فى العقود أيضًا، وكان يُذاكر بمسائل من مذهبه [١٠٠]. ومنهم. أبو على محمود بن على الهندى الأصل، ويعرف بالهندى، وهو عن تصدر فى القراءة والرواية [١٠١]. والمحب محمد بن محمد الهندى الحنفى (ت ٧٨٩هـ / ١٣٨٧م) وكان شديد التعصب للمذهب الحنفى على حساب الشافعى[١٠٢]. وبرز مكى بن سليمان الهندى فى تأديب الأطفال بمكة[١٠٣] من سنة ٨٢٩هـ / ١٤٣٥م، فعلم دوراً بعد دور، وكان حافظًا للقرآن الكريم، وللشاطبيه وللقراءات [١٠٤]، وتوفى سنة ٨٩٨هـ / ١٤٩٢م.

أما عن دور العلماء الهنود بالمدينة المنورة ، فلقد كان للعلامة ضياء الدين الهندى الحنفى دور بالمدينة قبل مكة، حيث أقام بالمدينة سنين «يدرس ويفتى »[١٠٥] وكذلك كان للبهاء الهندى الحنفى دور فى تدريس الفقه والأصول والعربية بالمدينة النبوية المباركة، وقد كان ينقطع فى الحرم الشريف غالب نهاره للتدريس والإفادة، مع محبته للطلبة، والحرص على إفادتهم، حتى إنه إذا تأخر مجئ الطالب، جاءه فى بيته، وقد قرأ عليه بعض الطلبة جميع الكافية لابن الحاجب بحثاً فى بيته ليلاً «وكان فى الأصلين والفقه والعربية إمام زمنه مع حلم وعقل راجح وحسن خلق»[١٠٦]. وقد قيل عن العالم الهندى راجح بن داود الأحمد ابادى الحنفى : «اشتهرت بالمسجد الشريف فضيلته وتقررت أوصافه وفطنته»[١٠٧] مما يبين دوره العلمى بمسجد النبى ﷺ .

وبعد فهؤلاء أهم من كان لهم دور فى تدريس العلوم الدينية بالحرمين الشريفين، وتبين من خلال العرض السابق الدور المهم لعلماء الهنود فى تدريس الفقه على المذهب الحنفى بصفة خاصة ، وظهر أن هؤلاء العلماء علموا العلوم الدينية لمكيين ومدنيين تبوأوا مناصب علمية مرموقة بالحجاز بعد تلقيهم العلم على أساطينه، ومن بينهم العلماء الهنود.

وكان لهؤلاء العلماء الهنود وظائف دينية مهمة فى الحرمين الشريفين منها : القضاء واشتهرت أسرة بنى الضياء بهذا المنصب الجليل بمكة المكرمة حتى قيل عنهم : «قضاة مكة»[١٠٨]. كما نبغ هنود آخرون فى القضاء من غير هذه الأسرة الهندية، ومنهم : شاذى الهندى قاضى الحنابلة بمكة[١٠٩]. وناب بعضهم عن القضاة فى الحكم فى بعض القضايا وفى

عقود النكاح (١١٠). كما ناب آخرون فى الإمامة بالحرم المكى(١١١) بل أم بعضهم بمقام الحنفية به ومنهم محمد بن محمد الهندى الكابلى الحنفى ، و«كان شيخًا مباركًا كتب بخطه كثيراً ووقف جملة » (١١٢). بل إن هندى الأصل هو أحمد بن سعد ناب بمكة عن أميرها السيد بركات ثم عن ولده (١١٣).

رابعًا : إسهامات الهنود فى العلوم اللغوية والبلاغية:

بالرغم من أن الهنود أعاجم إلا أن بعضهم برز فى العلوم اللغوية والبلاغية بصفة خاصة، حتى أن أحدهم وهو عبد الرحمن بن على الهندى وصف بأنه كان فصيحًا مفوهًا (١١٤). ولذلك عندما كان يمتنع مقرئ الحرم المكى العفيف الدلاصى عن إقراء العجم لكونهم- فى نظره- لايخرجون الحروف من مخارجها، اجتمع به هندى وصف بالعلامة ، وقرأ عليه(١١٥). ومن أبرز العلماء الهنود فى هذين المجالين: أحمد بن محمد الشهاب بن الكمال الهندى الحنفى (ت ٨٢٨هـ / ١٤٢٤م) وكان عالمًا بالنحو والصرف وآداب البحث ، والهندسة والحساب أيضًا (١١٦). والبرهان الهندى وكان ماهراً فى النحو والمعانى والبيان، وتتلمذ عليه فى هذه العلوم عالم الحجاز ورئيسه إبراهيم بن على المكى الملقب بابن ظهيرة (ت ٨٩١هـ/ ١٤٨٦م) الذى انتهت إليه رئاسة الحجاز دينًا، وفضلا وعقلا وشهامًا (١١٧). وإبراهيم الهندى الحنفى، الذى أخذ عنه بمكة البرهان بن ظهيرة العربية والمعانى والبيان(١١٨).

هذا بالإضافة إلى الضياء الهندى والبهاء الهندى وقد سبق الحديث عن دورهما بمكة والمدينة فى المجال الدينى، وكانا فى الوقت نفسه من علماء العربية الأفذاذ.

خامسًا : إسهام للهنود فى نسخ الكتب :

ذكرت مصادرنا التاريخية اثنين من الهنود كان لهما دور كبير فى نسخ الكتب بمكة المكرمة عن أصحابها ، الأول منهما: محمد بن محمد بن محمود الهندى وكان يخدم الشيخ عبدالله اليافعى، ويكتب له تصانيفه ، كما خدم القاضى أبا الفضل النويرى ولازم درسه ومجالسه وقرأ عليه(١١٩). والثانى منهما: نجيب الدين الهندى وكتب بخطه كثيراً من كتب العلم(١٢٠)، وتوفى بمكة بعد التسعين وسبعمائة بيسير. وهناك هندى ثالث بمكة هو محمد بن محمد بن عمر الهندى وقيل عنه «كتب بخطه كثيراً»(١٢١).

وبعد ... فهؤلاء هم أبرز العلماء الهنود الذين كان لهم دور فعال ومؤثر فى الحياة الثقافية والتعليمية بالحرمين الشريفين إبان تبعيتها لسلاطين المماليك. وبالإضافة إلى هؤلاء العلماء كان هناك عد آخر من الهنود تلقوا العلم على أساطينه بالحرمين الشريفين دون أن يكون لهم بهما

دور ثقافي أو تعليمى [١٢٢]، وإنما كانوا جزءًا من الحركة العلمية بمكة المكرمة والمدينة المنورة فى هذه الفترة التاريخية.

وقد كان للعلماء الهنود وجود دائمًا فى المناسبات الثقافية، ومنها بيع خزائن الكتب، وحدث هذا الأمر مرة بمكة [١٢٣]. كما اقتضت العلاقة الثقافية بين بلاد الحرمين الشريفين أن تتبادل أخبار وفيات العلماء بين الجانبين [١٢٤]، بل وربما امتد ذلك ليشمل وفيات التجار المترددين على الهند من الحجاز[١٢٥].

والارتباط بين الحرمين الشريفين والهند كان يجد من يغذيه ويقويه عن طريق رسم وكتابة صفة الكعبة المشرفة وإهدائه للناس بالهند [١٢٦]. الأمر الذى كان يزيد من الارتباط العاطفي الروحى بمكة المكرمة بصفة خاصة.

ومن الملاحظ أن جل العلماء الهنود كانوا على المذهب الحنفى، وأن بعضهم[١٢٧] تعصب له تعصبا جعله يذم باقى المذاهب وعلى رأسها المذهب الشافعى ، وهذا - بدون شك- مما يؤخذ على هؤلاء العلماء. كما يتضح أن دور هولاء العلماء الهنود بمكة المكرمة كان أشد وضوحًا منه بالمدينة المنورة، والسبب واضح كل الوضوح وهو ارتباط مكة المكرمة بشعيرة الحج والعمرة وبسنة مجاورة البيت العتيق ، ولذا فإن العلماء الهنود كانوا أكثر عددًا بمكة عن المدينة، ومن ثم ظهر دورهم بمكة أشد وأقوى وأوضح.

الخلاصة

قام الهنود (ممثلون فى الملوك والعلماء) بدور مهم بالحرمين الشريفين زمن سلاطين المماليك، وتمثل هذا الدور فى إقامة المدارس التى بلغ عددها سبعًا : خمس منها بمكة المكرمة واثنتان فى المدينة المنورة، وظهر هذا الدور أيضًا من خلال إنشاء الأربطة التى لعبت دوراً علميا وثقافيا كدور المدارس، وكانت هذه الأربطة تحتوى على خزائن الكتب ، ويقيم بها طلبة العلم والمدرسون . ونبغ العلماء الهنود فى العلوم الدينية واللغوية والبلاغية بصفة خاصة، وكان دورهم بالحرمين الشريفين يتمثل فى تدريس هذه العلوم والمعارف بالحرمين وبالمدارس وبالأربطة ، وأحيانًا فى بيوتهم أو بيوت طلبة العلم وقد قام بهذا أحد الهنود بالمدينة المنورة . إضافة إلى ذلك فقد اشتهر بعض طلبة العلم من الهنود بنسخ الكتب . وتبوأ العلماء الهنود مناصب دينية عديدة منها: القضاء وإمامة الحرم المكى. واتضح من خلال المصادر أن دور الهنود بمكة المكرمة كان أقوى وأظهر منه بالمدينة المنورة ، ويرجع ذلك إلى ارتباط بارتباط مكة المكرمة بفريضة الحج أو بشعيرة العمرة، وبسنة مجاورة البيت العتيق.

ولم يقتصر دور العنصر الهندى على الجانب الثقافى والعلمى بالحرمين الشريفين، بل كانت له أدوار أخرى[١٢٨] تمت الإشارة إليها فى ثنايا البحث.

الهوامش

١- تعاقب على الحكم بالهند خلال فترة البحث عدد من الأسر المسلمة هى مماليك الغوريين (٦٠٣-٦٨٩هـ/ ١٢٠٦-١٢٩٠م) والخلجيون (٦٨٩-٧٢٠هـ / ١٢٩٠-١٣٢٠م) وآل تغلق (٧٢٠-٧٩٩هـ/ ١٣٢٠-١٣٩٦م) والمغول الذين اجتاحوا الهند سنة ٧٩٩هـ/ ١٣٩٦م وحكموها لمدة ثلاثة قرون، وفى أيامهم استقلت إمارات عن حكمهم فى دهلى حاضرة المسلمين بالهند، وأبرز هذه الإمارات والولايات المنفصلة عن حكم المغول: إمارة البنغال والكجرات والدكن وغيرها . وقد ارتبطت هذه الإمارات المستقلة بالعلاقات الثقافية مع بلاد الحجاز وغيرها، كما أن سلاطين هذه الإمارات المستقلة هم الذين ساهموا فى إثراء الحياة الثقافية بالحرمين الشريفين . وللوقوف على ملوك «بنجالة» راجع الفاسى العقد الثمين ج٤ ص١٠٤ و١٠٨ ؛ الصيرفى : نزهة النفوس والأبدان ج٣ ص٢٩٧ ، وص٣٦٣ ؛ ابن حجر : إنباء الغمر ج٢ ص٤٩٦ ؛ السخاوى : وجيز الكلام ج٢ ص٥٢٤ و٥٤٣ والضوء اللامع ج٢ ص١٦٦ و٣١٣ ، ج٨ ص٢٨٠ و٢٩٣ ، ج١٠ ص٢١٤ : التحفة اللطيفة ج١ ص١٩٢ ؛ السمهودى : وفاء الوفاء ج١ ص٧٠٢ . ولمعرفة أمراء كجرات راجع السخاوى: الضوء اللامع ج٢ ص٩١ وج١٠ ص١٤٤ . ولمعرفة ملوك كلبرجه راجع السخاوى: الضوء اللامع ج٣ ص١٨٣ و٢٢٢ ، ج١٠ ص١٤٤ و١٤٧ والتحفة اللطيفة ج١ ص١٦١ ؛ السمهودى: وفاء الوفاء ج١ ص٦٩٦ ؛ الصيرفى: نزهة النفوس ج٣ ص٣٢٤ . وراجع أيضا ابن قاضى شهبة : تاريخ ابن قاضى شهبة ج٣ ص٢٨-٢٩ وابن أيبك : كنز الدرر ج٩ ، ص٢٢ و ٢٩٩ و ٣٤٥ ؛ القلقشندى : صبح الأعشى ج٥ ، ص٦١-٩٨ وج١٠ ص١٢٩ .

٢- وللوقوف على العلاقات التجارية بين مكة والهند بصفة خاصة راجع النجدى: السحب ج٢ ص٨٨٢ ؛ السخاوى: الضوء اللامع ج٤ ص٣٢١ وج٨ ص١٠٣ وراجع ج٥ ص١٧٥ وج٧ ص١٢٥ ، وراجع أيضا الفاسى: العقد الثمين ج٢ ص٧٨ وج٤ ص١٤٥ ؛ ابن حجر : إنباء الغمر ج٤ ص٨٤٣ . عن التجارة مع الهند بصفة عامة راجع السخاوى: الضوء ج١ ص٦٩ ، ج٧ ص١٣٣ ، ج١٠ ص١٣٦ و١٥٤ ؛ وجيز الكلام ج٣ ص١٢٤٨ ؛ الصيرفى: نزهة النفوس ج٣ ص١٤٥ ؛ السلفى: معجم السفر ص٤٣ و١٩٨ ؛ ابن الفرات : تاريخ ابن الفرات ج٨ ص١٨٦ ؛ السيوطى: بغية الوعاة ج١، ص٦٦ .

٣- كان هذا التأثير قديماً قبل فترة البحث بقرون، والدليل على ذلك دور عدد من العلماء الهنود بمكة ، ومنهم على سبيل المثال : محمد بن إبراهيم البيلى (ت ٣٢٢هـ) ووصف بأنه محدث مكة. راجع الفاسى: العقد الثمين ج١ ص٣٩٦-٣٩٧ ؛ الذهبى : سير أعلام النبلاء ج١٥ ص٩ ، وبدليل وقف الملك

العادل بهاء الدين محمد ملك الغور والهند سنة ٦٠٠هـ / ١٢٠٣م رباط ابن غنايم بمكة المكرمة علي الصوفية . راجع الفاسى : العقد الثمين ج١ ص١٢٣ وج٢ ص٢٢٣ وابن فهد: اتحاف الورى بأخبار أم القرى ج٢ ص٥٧٠-٥٧١ .

٤- انظر السخاوي: الضوء اللامع ج١ ص١٥ و٣٦٧ ، ج٢ ص٤٤ ،٢٣١ ، ج٣ ص٣٠٢ ، ج٤ ص١٥٠ ج٥ ص٦٩ ، ج٨ ص٨٤ ، ٨٥ ص١٢٧ ،ج١٠ ص٥٢ .

٥- راجع السخاوى : الضوء اللامع ج٤ ص٥٩-٦٠ ،١٠٣ ،ج٧ ص٢٣٣ ،ج٩ ص٢١٨ ،ج١٠ ص٣٠ ص٦٩ . وراجع النعيمى: الدارس ج١ ص١٣٠ .

٦- ابن حجر : إنباء الغمر ج٢ ص٤٩٦ والسخاوى: الضوء اللامع ج٢ ص٣١٣ ، وجيز الكلام للسخاوي ج٢ ص٤١٧ والتحفة اللطيفة ج١ ص١٩٢ .

٧- عندما توفي أعظم شاه غياث الدين ملك بنجالة سنة ٨١٤هـ / ١٤١١م ملك ابنه حمزة بعده، فثار عليه مملوكه شهاب وقتله، فتسلط عليه ملك غير مسلم اسمه فندو قتل شهابا، وثار ابن فندو على أبيه فقتله، وأسلم وتسمى بمجد ، وتلقب بجلال الدين، وأقام هذا السلطان الهندى المسلم محمد بن فندو شعار الإسلام فى بلده، وجدد ما خربه أبوه من المساجد ونحوها، واختار مذهب الإمام أبى حنيفة مذهبًا له، وارتبط بعلاقات سياسية مع المماليك بمصر، واعتنى بمكة المكرمة ، فبنى بها مدرسة ، وتصدق بأموال على أهلها سنة ٨٣٢هـ/ ١٤٢٨م . راجع ابن حجر : إنباء الغمر ج٢ ص٤٩٦ ؛ الصيرفى : نزهة النفوس ج٣ ص٢٩٧ والسخاوى : الضوء اللامع ج٨ ص٢٨٠ وراجع ج٢ ص١٦٦ ؛ وجيز الكلام ج٢ ص٥٢٤ . ونكر السخاوى فى «الضوء اللامع» ج٨ ص٢٩٣ أنه رأى شيئًا من كتبه.

٨- من أبرز ملوك كلبرجه السلطان شهاب الدين أحمد أبو المغازى (ت ٨٣٨هـ / ١٤٣٤م) الذى أقام فى المملكة أربع عشرة سنة، وقام من بعده ابنه ظفر شاه واسمه أحمد، ووصف بأنه من خير ملوك زمانه. وكان لهذين الملكين وزير قائم بدولتهما هو خلف بن حسن بن مهيوف واشتهر بحب العلماء والإحسان إليهم، ووصفته المصادر بأنه أحد أفراد العالم فى زمانه لما عليه من دين وورع وكرم وشجاعة . راجع الصيرفى: نزهة النفوس ج٣ ص٣٢٤ ؛ السخاوى : الضوء اللامع ج٣ ص١٨٣ ؛ الفاسى : العقد الثمين ج٨ ص٢١٠ .

٩- السخاوى : الضوء اللامع ج٩ ص٢٩١ ، ص٢٩٤ .

١٠- السخاوى : الضوء اللامع ج٣ ص٢٢٢ ، ص٢٢٣ .

١١- السخاوى: الضوء اللامع ج٢ ص١٠٥ .

١٢- راجع الفاسى : العقد الثمين ج١ ص٣٠١ - ٣٠٧ ، ص٤٣١ ، ٤٣٢ ؛ السخاوى: الضوء اللامع ج٢ ص١٣٥ .

١٣- راجع الفاسى : العقد ج١ ص٤٣١ .

١٤- الفاسى : العقد ج١ ص٣٠١ ، ٤٣١ ، ص٤٥٤ ، ج٦ ص٣٤ ؛ السخاوى: الضوء اللامع ج٥ ص٩٣، ج٩ ص٢٢٣ ، ج١٠ ص١٦٠ ؛ التحفة اللطيفة ج١ ص٩٤ و١٠٦ و ١١١ و ١١٢ و ١٤٦ و ١٧٧ و ٢٤٩و ٤٢٤ و ٤٥٨ وج٢ ص٦٦ و٨٦ و ١٧١ و ١٩٨ ، ٤٦٣ و ٥٦٢ ؛ ابن فهد : اتحاف الورى ج٤ ص٣٦ .

١٥- راجع ترجمته عند الفاسى: العقد الثمين ج٤ ص٨٦-١٣٨ ، ج٣ ص١٣٤ . وعن بعض الأمراء الآخرين لمكة زمن البحث راجع ج٤ ص١٦٦-١٧٤ ، ٤٠٣-٤٢٤ ، ج٦ ص٥٨-٧٢ ، ٢٠٦-٢١٦ كما ترجم السخاوى فى «التحفة اللطيفة» لأمراء المدينة.

١٦- الفاسى: العقد الثمين ج٤ ص١٠٨ ، راجع ج١ ص١١٧ ؛ ابن فهد : اتحاف الورى ج٣ ص٤٨٥-٤٨٦ ؛ السخاوى : الضوء اللامع ج٢ ص٣١٣ وذكر أنه صرُف على المدرسة وأوقافها اثنى عشر ألف مثقال مصرية انظر ج١٠ ص١٦٤ . وعن هذه المدرسة راجع ابن حجر : إنباء الغمر ج٢ ص٤٩٦ وابن تغرى بردى: المنهل الصافى ج٢ ص١٨٢ ؛الفاسى : شفاء الغرام١ ص٣٢٨ و٣٢٩ .

١٧- راجع الفاسى: العقد الثمين ، ج١ ص١١٧ .

١٨- القاضى الحنفى شهاب الدين أحمد بن الضياء الهندى تولى قضاء مكة سنة ٨٠٧هـ / ١٤٠٤م وفى السنة نفسها تولى قضاء المالكية القاضى تقى الدين محمد بن أحمد الفاسى راجع ابن حجر : إنباء الغمر ج٢ ص٢٩٨ .

١٩- راجع ابن فهد: اتحاف الورى ج٣ ص٤٨٥-٤٨٦ ، السخاوى: الضوء اللامع ج٢ ص٣١٢ ؛ الفاسى : العقد الثمين ج١ ص١١٧ .

٢٠- ابن فهد : اتحاف الورى ج٣ ص٤٨٦ .

٢١- السخاوى : وجيز الكلام ج٣ ص١٠٧٤-١٠٧٥ .

٢٢- راجع الفاسى : العقد الثمين ج٢ ص٥٥-٥٧ ؛ السخاوى: التحفة اللطيفة ج١ ص١٤٦ وابن تغرى بردى : المنهل ج٢ ص١٨٢ .

٢٣- السخاوى : الضوء اللامع ج٥ ص١١٣ .

٢٤- السخاوى : الضوء اللامع ج٤ ص٢٨٧ .

٢٥- السخاوى : الضوء اللامع ج٩ ص٢١٤ .

٢٦- السخاوى: الضوء اللامع ج٨ ص٧٤ ؛ الفاسى : العقد الثمين ج٢ ص١٢٤ .

٢٧- الفاسى: العقد الثمين ج٤ ص١٣٨ ؛ انظر السخاوى : الضوء اللامع ج٥ ص١٧٤ .

٢٨- عنه راجع السخاوى : الضوء اللامع ج١٠ ص٢٤٠ .

٢٩- الفاسى: العقد الثمين ج٤ ص١٠٩

٣٠- السخاوى : الضوء اللامع ج٢ ص٣١٣ .

٣١- السمهودى: وفاء الوفا ج١ ص٧٠٢ و٧٠٣ ؛ ابن حجر : إنباء الغمر ج٢ ص٣٦٨ ؛ السخاوى: التحفة اللطيفة ج١ ص١٩٢ .

٣٢- راجع ابن فهد : اتحاف الورى ج٣ ص٦٤٣ ، ج٤ ص٤٥ .

٣٣- راجع ترجمته عند الصيرفى: نزهة النفوس والأبدان ج٣ ص٣٢٤ ؛ الفاسى : العقد الثمين ج٨ ص٢١٠ ؛ السخاوى: الضوء اللامع ج١٠ ص١١٧ .

٣٤- ابن فهد : اتحاف الورى ج٤ ص٢٤ .

٣٥- قعيقعان : جبل بمكة يشرف على المسجد الحرام من جهة الشمال والشمال الغربى ، ويعرف بأسماء عدة ، فالجزء المشرف على المعلاة يسمى بجبل العبادى، وجبل السليمانية، أما الجزء الجنوبى فيسمى بجبل هندى. ومن هذه الأسماء جبل القرارة وجبل فلفلة من جهة الشامية ، وكل هذه الأجزاء تمثل جبل قعيقعان . هامش (٢) ص٢٥ ج٤ من كتاب ابن فهد: اتحاف الورى .

٣٦- راجع ابن فهد : اتحاف الورى ج٤ ص٢٥-٢٦ .

٣٧- السخاوى : الضوء اللامع ج٥ ص٩٣ .

٣٨- السخاوى : الضوء اللامع ج٧ ص٢٣ .

٣٩- راجع السخاوى: الضوء اللامع ج١٠ ص٢٠٣ ، ج٣ ص١٢٧ ، ج٥ ص٥٧ .

وبالعكس هناك مكيون سافروا إلى كليرجه من بلاد الهند . راجع السخاوى : الضوء اللامع ج١ ص٢٨١ وج٥ ص١٧٥ ؛ الفاسى : العقد الثمين ج٢ ص٧٨ وج٤ ص١٣٧-١٣٨ ، راجع النجدى : السحب الوابلة ج٢ ص٥١٢ . كما أن هناك علماء مصريين دخلوا كليرجه من الهند . راجع

السخاوى: وجيز الكلام ج٢ ص٤٨٢ .

٤٠- السخاوى : وجيز الكلام ج٢ ص٤٩٨ .

٤١- راجع السخاوى: الضوء اللامع ج٣ ص٢٢٢ .

٤٢- راجع السخاوى : الضوء اللامع ج٨ ص٢٨٠ ؛ وجيز الكلام ج٢ ص٥٣٤-٥٣٥ .

وربما عرفت هذه المدرسة بالبنجالية الجديدة تمييزا لها عن البنجالية الغياثية . راجع السخاوى: الضوء ج٨ ص٧٤ ؛ الفاسى : العقد الثمين ج٢ ص١٢٤ .

٤٣- راجع السمهودى : وفاء الوفاء ج١ ص٦٩٦ والسخاوى: التحفة اللطيفة ج١ ص١٦١ وهناك حديث عن القناديل التى أرسل بها صاحب كلبرجه للمسجد النبوى .

٤٤- راجع السخاوى : الضوء اللامع ج١٠ ص١٤٨ . وذكر أن صاحب مندوه من الهند توفى سنة بضع وسبعين وثمانمائة من الهجرة ، وأنه كان مشهوراً بالكرم والصدقة وبدشيشة هائلة له بمكة انقطعت بعد موته . راجع ص١٤٩ .

٤٥- السخاوى : الضوء اللامع ج٩ ص٢٢٣ . وهو محمد بن محمد الحسنى الحنفى.

٤٦- راجع السخاوى: الضوء اللامع ج١٠ ص١٦٦ .

٤٧- ابن فهد : اتحاف الورى ج٤ ص٤٤٣ .

٤٨- السخاوى: الضوء اللامع ج٢ ص١٠٥ .

٤٩- السخاوى: التحفة اللطيفة ج٢ ص٣٧٦ ، راجع خبراً آخر عند السخاوى: السابق ج٥ ص١١٣ .

٥٠- ابن فهد : اتحاف الورى ج٣ ص٣٤٥ ويذكر هنا أن هناك علاقة تجارية قد قامت بين كنباية وميناء مكة المكرمة ، ميناء جدة، راجع السخاوى: وجيز الكلام ج٣ ص١٢٤٨ .

٥١- الفاسى: العقد الثمين ج٤ ص١٠٤ .

٥٢- راجع الفاسى : العقد الثمين ج٢ ص٣٥٠ ، ٤١٤ ج٤ ص١٥٥ ، ٢٥٤ ، ٣٨٥ والسخاوى: الضوء ج١٠ ص٤٥ .

٥٣- راجع الفاسى: السابق ج٦ ص٢٢١ ، ٤٥٦ والسخاوى: الضوء اللامع ج٢ ص٢٠٥ وص٢١٠ و ٣٣٠ ج٥ ص٧٦ ، ٢٣٦ ، ٣٠٧ ، ٣١٢ ،ج٦ ص١٤٦ ، ج٧ ص١٠٥ ، ج٩ ص٢٢ . ونصت المصادر على احتواء هذا الرباط على الكتب الموقوفة على العملية التعليمية به .

٥٤- راجع الفاسى : السابق ج٤ ص٣١٨ ، ج٦ ص١٣١ ؛ السخاوى: الضوء اللامع ج٨ ص٥٨ .

٥٥- الفاسى: السابق ج٦ ص٤٥٦ .

٥٦- الفاسى : السابق : ج١ ص٤٥٤ ، ج٦ ص٢٠٤ . ونصت المصادر على وجود كتب به مفهرسة . الضوء اللامع ج٣ ص٣١٢ ؛ السخاوى: الضوء اللامع ج٣ ص٢١٧ ، ج٥ ص١٤٣ ، ج٧ ص٢٥٢ ، ج١٠ ص٥٥ ، ١٢٣ .

٥٧- السخاوى: الضوء اللامع ج٥ ص١٧٤ ، ج٧ ص٢٥٣ ونصت المصادر على وجود كتب به .

٥٨- ومنها رباط الصفا وبه كتب حسنة . السخاوى: الضوء اللامع ج١ ص١١٥-١١٦ ورباط الخرازين. الفاسى : السابق ج٤ ص١٧٤ ، وراجع للوقوف على كل هذه الأربطة الفاسى : السابق ج١ ص١١١٧-١١٨ ، ص١٢١-١٢٣ .

٥٩- راجع السخاوى: الضوء اللامع ج١ ص٣٤٨ .

ويذكر هنا أن كثيراً من الفقهاء كانوا يسكنون هذه الأربطة ، راجع على سبيل المثال السخاوى: السابق ج١ ص٣٠٨ ، ج٥ ص١٧٤ ، ص٢٣٦ ، ج٧ ص١٠٥ والفاسى: العقد الثمين ج٢ ص٤١٨ ، ج٦ ص١٣١ .

٦٠- السخاوى: الضوء اللامع ج٨ ص٨٨ .

٦١- راجع السخاوى: التحفة اللطيفة ج١ ص٨٤ ، ١٠١ ، ١٠٩، ١٢٧، ١٦٤، ١٨٤ ،٢٨٥ ، ج٢ ص١٨٢، ٢٢٠ ، ٢٥٢ ، ٢٥٤، ٣٠٩ ، ٣٥٨ ، ٣٧٩ ، ٤٧٥ ، ٤٩٦ ، ٤٩٩ .

٦٢- الفاسى: العقد الثمين ج٦ ص٣٤ .

٦٣- الفاسى: العقد الثمين ج١ ص١٢١ .

٦٤- راجع السخاوى: الضوء اللامع ج٣ ص٢٥٧ و٣٠٣ .

٦٥- الفاسى : العقد الثمين ج٨ ص٢١٠ .

٦٦- راجع الفاسى: العقد الثمين ج١ ص٤٠٩-٤١٠ .

ويذكر هنا أن للشيخ غياث الدين معرفة بالطب ، وله فيه مؤلفات حسنة، وقد انتفع به الناس فى ذلك بمكة كثيرا ، وكان يقدم الأدوية للناس، وتوفى بمكة سنة ٨٠٥هـ / ١٤٠٢م . راجع الفاسى: السابق ص٤١٠ .

٦٧- السخاوى : التحفة اللطيفة ج١ ص١٦١ .

٦٨- راجع السخاوى: الضوء اللامع ج٣ ص٢٢٢ وراجع ج-١ ص١٤٨ .

٦٩- راجع السخاوى: السابق والصفحة نفسها وج١٠ ص١٥٠ .

٧٠- راجع السخاوى: السابق ج٣ ص٢٢ .

٧١- السخاوى: السابق ج٣ ص٢٢ ؛ راجع الفاسى: العقد الثمين ج٤ ص١٧٦ ؛ الكتبى: فوات الوفيات ج١ ص٣٥٩ .

٧٢- راجع السخاوى : السابق ج١٠ ص٢٩٨ ؛ راجع ج٢ ص١٦٦-١٦٧ .

٧٣- راجع السخاوى : السابق ج٥ ص٦٩ ، ج٨ ص٨٤ ، ج١٠ ص٥٢ .

٧٤- راجع السخاوى: السابق ج١ ص٣٦٧ ، ج٨ ص٨٥ .

٧٥- راجع ابن حجر : الدرر الكامنة ج٥ ص٢٤٨ وإنباء الغمر ج١ ص٢٧ والسخاوى: السابق ج١ ص٣٢٥ ، ج٢ ص٢٣١ ، ج٤ ص١٥٠ ، ج١٠ ص٣٠ .

٧٦- راجع السخاوى: السابق ج٨ ص١٢٧ .

٧٧- راجع السخاوى: السابق ج١ ص١٥ ، ج٢ ص٤٤ ، ج٣ ص٣٠٣ وراجع الصفدى: الوافى ج٣ ص٢٣٩ ؛ المقريزى: المقفى ج٦ ص٦٨ ؛ درر العقود ج١ ص٢١٩ ، ٤٢٠ .

٧٨- السخاوى: الضوء اللامع ج٤ ص٦٠ .

٧٩- السخاوى: السابق ج١٠ ص٦٩ .

٨٠- السخاوى : السابق ج٤ ص١٠٢ وقد وصف هذا الصفدى بأنه كان فصيحًا مفوهًا .

٨١- السخاوى : السابق ج٧ ص٢٣٣ وج١٠ ص٣٠ . ويذكر هنا أن هناك عالمين هنديين عرفا بالسراج . راجع الضوء اللامع ج٩ ص٢١٨ .

٨٢- راجع النعيمى : الدارس فى تاريخ المدارس ج١ ص١٣٠ .

٨٣- راجع الفاسى : العقد الثمين ج٢ ص٢٩١-٢٩٢ ؛ السخاوى: وجيز الكلام ج١ ص٢٤١ .

٨٤- الفاسى : العقد الثمين ج٦ ص٣٥٥-٣٥٦ .

٨٥- السخاوى: الضوء اللامع ج٩ ص١٥ .

٨٦- ابن حجر : إنباء الغمر ج٣ ص٢٩٨ .

٨٧- تنسب هذه المدرسة إلى الأمير فخر الدين المعروف بالزنجبيلى، أحد أمراء السلطان صلاح الدين الأيوبى، وكانت هذه المدرسة عند باب العمرة . راجع الفاسى : العقد الثمين ج٦ ص٣٤ ؛ السخاوى : الضوء اللامع ج٣ ص١٣٧ .

٨٨- راجع الفاسى: العقد الثمين ج١ ص١١٧-١١٨ .

٨٩- السخاوى: التحفة اللطيفة ج١ ص١٤٦ ؛ الضوء اللامع ج٢ ص١٧٩ ؛ والمقريزى: درر العقود ج٢ ص٤٢٩-٤٣٠ ؛ راجع ابن تغرى بردى: المنهل الصافى ج٢ ص١٨٢ .

٩٠- السخاوى : الضوء اللامع ج٢ ص١٩١ .

٩١- السخاوى: الضوء اللامع ج٧ ص٨٥ .

٩٢- راجع هذه الكتب المؤلفة فى المصدر السابق نفسه والصفحة نفسها .

٩٣- السخاوى: الضوء اللامع ج٧ ص٨٥ .

٩٤- السخاوى: السابق نفسه والصفحة نفسها ، ج٩ ص١٩١ .

٩٥- السخاوى : الضوء اللامع ج٧ ص٨٦ .

٩٦- راجع السخاوى : السابق ج٧ ص٨٦ .

٩٧- راجع السخاوى: السابق ج٢ ص١٦٧ ، ج٣ ص١٣٧ ،ج٤ ص١٨٧-١٨٨ .

٩٨- راجع السخاوى: السابق ج٦ ص٢٤٢ .

٩٩- السخاوى: الضوء اللامع ج١ ص٨٨ .

١٠٠- راجع الفاسى: العقد الثمين ج٤ ص١٨٧-١٨٨ ؛ السخاوى: الضوء اللامع ج٣ ص٣٧ .

١٠١- السخاوى : وجيز الكلام ج٢ ص٧٤٢ .

١٠٢- السخاوى: وجيز الكلام ج١ ص٢٨٣ .

١٠٣- كان تعليم الأطفال وتأديبهم معروفا بمكة على نطاق واسع زمن المماليك ، وكان يتم بالحرم الشريف تحت مآذنه وعند أبوابه راجع الفاسى: العقد الثمين ج١ ص٤١٣ ، ٤٣٣ ، ٤٣٥ ، ج٢ ص٣١٤ ،ج٤ ص٨٥ ، ج٨ ص١٧ ، ص٩٥ ؛ السخاوى: الضوء اللامع ج٢ ص١٠٩ ، ج٣ ص١٠٢ وج٥ ص٨٩ ، ج٩ ص١٣٤ ، ١٦٦ ، ١٨٣ كذلك عُرف هذا التعليم للأطفال بالمدينة المنورة . راجع السخاوى: الضوء اللامع ج١٠ ص٢٣-٢٤ . والتحفة اللطيفة ج١ ص٩٤ ، ٤٥٣ ، ج٢ ص١٣٥ ،٣٥٩، ٥٠٥ .

١٠٤- السخاوى: الضوء اللامع ج١٠ ص١٦٩ .

١٠٥- الفاسى: العقد الثمين ج٢ ص٢٩١ .

١٠٦- السخاوى: التحفة اللطيفة ج٢ ص٣٥٢-٣٥٣ ؛ راجع ترجمة مختصرة له عند القاسى : العقد الثمين ج٦ ص٣٥٤ .

١٠٧- راجع السخاوى: الضوء اللامع ج٧ ص٢٢٣ . ونذكر هنا أن هنديًا كان أحد خدام المسجد النبوى، وكان فى الوقت نفسه عالمًا. راجع السخاوى: الضوء اللامع ج٣ ص١٧٣ .

١٠٨- السخاوى: وجيز الكلام ج١ ص٢٤١ .

١٠٩- السخاوى: الضوء اللامع ج٣ ص٢٩٠ .

١١٠- راجع السخاوى: الضوء اللامع ج٢ ص١٧٩ ،ج٣ ص١٣٧ ، ج ص٥٣ ؛ التحفة اللطيفة ج١ ص١٤٦ .

١١١- راجع السخاوى: الضوء اللامع ج٨ ص٥٦ ؛ الفاسى: العقد الثمين ج٨ ص٢٨ ، ج٨ ص١٦٣ .

١١٢- الفاسى: العقد الثمين ج٢ ص٢١٩ .

١١٣- السخاوى: الضوء اللامع : ج١ ص٣٠٤ .

١١٤- السخاوى: الضوء اللامع ج٤ ص١٠٣ .

١١٥- راجع الفاسى : العقد الثمين ج٢ ص٣٤٠-٣٤٢ .

١١٦- راجع السخاوى: الضوء اللامع ج٢ ص١٦٧ ، ١٧٥ .

١١٧- راجع السخاوى: الضوء اللامع ج١ ص٨٩ وراجع من ص٨٨-٩٩ .

١١٨- الفاسى : العقد الثمين ج٨ ص١٩٠ .

١١٩- راجع الفاسى: العقد الثمين ج٢ ص٣٢١ .

١٢٠- راجع الفاسى: السابق ص٣٤٠-٣٤٢ .

١٢١- الفاسى: العقد الثمين ج٢ ص٣١٩ .

١٢٢- راجع السخاوى : الضوء اللامع ج٢ ص٢٠٧ ، ٣٢١ ،ج٣ ص١٢٧ ، ١٣٤ ،ص٢٣٢ ، ج١٠ ص٢١ ص٢٠٣ ؛ الفاسى: العقد الثمين ج٢ ص٣٢٠-٣٢١ ، ص٣٢٢ ، ص٣٣٢ .

١٢٣- راجع الفاسى: العقد الثمين ج٢ ص٢٩٢ .

١٢٤- راجع ابن فهد: اتحاف الورى ج٣ ص٣٤٧ وفيات سنة ٧٨٦هـ / ١٣٨٤م.

١٢٥- السخاوى: الضوء اللامع ج٨ ص١٠٣ .

١٢٦- الفاسى: العقد الثمين ج١ ص٤١٢ ؛ السخاوى: الضوء اللامع ج٧ ص١٣٣ .

١٢٧- منهم الضياء الهندى. راجع الفاسى: السابق ج٢ ص٢٩٢ ؛ السخاوى: وجيز الكلام ج١ ص١٤١ . والمحب محمد الهندى. راجع السخاوى: وجيز الكلام ج١ ص٢٨٣ . وتجب الإشارة هنا إلى أن أحد حكام الهند من المشهورين بالعدل وتقريب العلماء وهو غياث الدين الغورى الملقب بقسيم أمير المؤمنين كان يكره التعصب المذهبى ويقول : «التعصب فى المذاهب قبيح». الذهبى: سير أعلام النبلاء ج٢١ ص٣٢١ . الأمر الذى يؤكد ظهور هذا التعصب بالهند على نطاق واسع مما جعل حاكم الهند الغورى يذمه .

١٢٨- منها على سبيل المثال ما قام به الملوك الهنود من إرسال الأموال لأهالى الحرمين الشريفين ، فضلا عن إرسال الهدايا لأمراء مكة وأئمة الحرم وقضاة مكة . راجع فى ذلك الفاسى: العقد الثمين ج٤ ص١٠٤ و ١٠٨ ؛ السخاوى: الضوء اللامع ج٢ ص٣١٣ ؛ج٣ ص١٨٣ ، ٢٢٢ وج٨ ص٢٨٠ ؛ وجيز الكلام ج٢ ص٤٩٨ وابن فهد: اتحاف الورى ج٤ ص٤٤ . وجدير بالذكر هنا إلى أن هناك إشارات فى المصادر عن أنوار العامة من الهنود بالحرمين الشريفين ومنها إشارة السخاوى (الضوء اللامع ج٣ ص١٥٢) إلى أحد الهنود البنائين الذين مارسوا هذه الصناعة بمكة وهو حسين بن عمر الهندى وتوفى سنة ٨٦٠هـ / ١٤٥٥م إلى غير ذلك من إشارات عديدة لم يعرض إليها الباحث لأنها خارج نطاق بحثه .

المصادر

ابن أيبك (أبويكر بن عبدالله ت ٧٣٦هـ / ١٣٣٥م) :

١- كنز الدرر وجامع الغرر ج٩ تحقيق هانس رويرت . المعهد الألمانى للآثار بالقاهرة.

ابن تغرى بردى (جمال الدين يوسف ت ٨٧٤هـ / ١٤٦٩م) :

٢- المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي ج٢ الهيئة المصرية العامة للكتاب .

ابن حجر (شهاب الدين أحمد بن على ت ٨٥٢هـ / ١٤٤٨م):

٣- الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة. تحقيق محمد سيد جاد الحق . دار الكتب الحديثة.

٤- إنباء الغمر بأبناء العمر . تحقيق د. حسن حبشى. المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.

الذهبى (شمس الدين محمد بن أحمد ت ٧٤٨هـ / ١٣٤٧م) :

٥- سير أعلام النبلاء. تحقيق عدة محققين مؤسسة الرسالة - بيروت .

السخاوى (شمس الدين محمد بن عبد الرحمن ت ٩٠٢هـ / ١٣٩٦م) :

٦- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع . دار مكتبة الحياة . بيروت .

٧- وجيز الكلام فى الذيل على دول الإسلام . تحقيق بشار عواد وعصام الحرستانى وأحمد الخطيمى. مؤسسة الرسالة ١٤١٦هـ / ١٩٩٥ م.

٨- التحفة اللطيفة فى تاريخ المدينة الشريفة. دار الكتب العلمية . بيروت. لبنان ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.

السلفى (الحافظ أبو طاهر أحمد بن محمد . ت ٥٧٦هـ / ١١٨٠م) :

٩- معجم السفر . تحقيق عبدالله البارودى. دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع. بيروت ١٩٩٣م / ١٤١٤هـ .

السمهودى (نور الدين على بن أحمد ت ٩١١هـ / ١٥٠٥م)

١٠- وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى. تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد. دار إحياء التراث العربى. بيروت . لبنان .

السيوطى (جلال الدين عبد الرحمن ت ٩١١هـ / ١٥٠٥م):

١١- بغية الوعاة فى طبقات اللغويين. تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم . المكتبة العصرية، صيدا ، بيروت .

الصفدى (صلاح الدين خليل ت ٧٦٤هـ / ١٣٦٢م):

١٢- الوافى بالوفيات ج٣ اعتناء س. ديدرينغ.

ابن الصيرفى (على بن داود ت ٩٠٠هـ) :

١٣- نزهة النفوس والأبدان فى تواريخ الزمان تحقيق د. حسن حبشي. دار الكتب ١٩٧٠م.

الفاسى (محمد بن أحمد الحسنى ت ٨٣٢هـ / ١٤٢٨م) :

١٤- شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام . تحقيق د. عمر عبد السلام تدمرى. دار الكتاب العربى ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

١٥- العقد الثمين فى تاريخ البلد الأمين . تحقيق عدة محققين مطبعة السنة المحمدية.

ابن الفرات (محمد بن عبد الرحيم ت ٨٠٧هـ/ ١٤٠٤م) :

١٦- تاريخ ابن الفرات ج٨ تحقيق د. قسطنطين زريق ود. نجلاء عز الدين.

ابن الفهد (محمد بن محمد بن محمد بن فهد ت ٨٨٥هـ / ١٤٨٠م) :

١٧- اتحاف الورى بأخبار أم القرى. تحقيق د. عبد الكريم على بار. السعودية ، جامعة أم القرى. مركز إحياء التراث الإسلامى. مكة المكرمة.

ابن قاضى شهبة (قضى الدين أبو بكر أحمد ت ٨٥١هـ / ١٤٤٨م) :

١٨- تاريخ ابن قاضى شهبه . تحقيق عدنان درويش دمشق ١٩٧٧م.

القلقشندى (أبو العباس أحمد بن على ت ٨٢١هـ / ١٤١٨م) :

١٩- صبح الأعشى فى صناعة الانشا . الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٥م.

الكتبى (محمد بن شاكر ت ٧٦٤هـ / ١٣٦٢م) :

٢٠- فوات الوفيات . تحقيق د. إحسان عباس ، دار صادر بيروت .

المقريزى: (أحمد بن على ت ٨٤٥هـ) :

٢١- المقفى الكبير تحقيق الأستاذ محمد اليعلاوى دار الغرب- بيروت.

٢٢- درر العقود الفريدة فى تراجم الأعيان المفيدة. دراسة وتحقيق د. محمد كمال الدين عز الدين. عالم الكتب - بيروت ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م.

النجدى (محمد بن عبدالله بن حميد) :

٢٣- السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة . تحقيق بكر عبدالله أبوزيد ود. عبد الرحمن العثيمين. مؤسسة الرسالة . الطبعة الأولى ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م.

النعيمى (عبد القادر بن محمد ت ٩٢٧هـ / ١٥٢٠م) :

٢٤- الدارس فى تاريخ المدارس. تحقيق جعفر الحسنى .